الدَّرس الأول
ميلاد السيد المسيح

القراءة: متّى١:١-٢٥؛ لوقا ١: ١-٤؛ ويوحنّا ١

قصّة الميلاد

نَسَب السيد المسيح

متّى ١: ١-١٧

"كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِ دَاوُدَ ٱبْنِ إِبْرَاهِيمَ: إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. إِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ ٱلْمَلِكَ. وَدَاوُدُ ٱلْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ ٱلَّتِي لأُورِيَّا. وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِئِيلَ. وَشَأَلْتِئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ ٱلَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ ٱلَّذِي يُدْعَى ٱلْمَسِيحَ. فَجَمِيعُ ٱلأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى ٱلْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا."

تبدأ قصة الميلاد بسرد نَسَب السيد المسيح، لكى نفهم أنَّه قد جاء من نسل إبراهيم وداود النبي، وأيضًا من أحد آباء شعب اليهود، وذلك لكى تتحقق نبوات العهد القديم ووعود الوحي المُقدَّس عنه من نسل يهوذا.

وهذه الوعود لا ترتبط بشعب إسرائيل فقط، لكن بجميع شعوب العالم، إذ قد وعد الله إبراهيم أن في نسله أي في المسيح، سوف تتبارك فيه كل الشعوب والأمم والقبائل، وأنه سوف يُقدِّم الفداء والكفارة لكل مولود المرأة مهما اختلفت الشعوب والألسنة. وقد أعطى وعده أيضاً لموسي وداود ولعل كثيرين من شعبه لم يفهموا قصد الله أنَّه لا يُقدِّم الخلاص لشعب إسرائيل فقط، لكن لجميع شعوب العالم.

وقد أعطى الله تفصيلًا عن ميلاد هذا المسيح المُخلِّص، وعن حياته وعن مماته وقيامته. وفوق كل ذلك أعطى الله وعودًا للذين سوف يؤمنون بالمسيح ووعودا خاصة لكنيسته. وإذ ندرس حياة المسيح فسوف ندرس تلك النُّبوّات التى قيلت عنه قبل مجيئه بمئات السنين وكيف تحقَّقت.

حدِّد أين تقع: الناصرة – الجليل – أورشليم – كفر ناحوم؟

الناصرة: مكان سكن المسيح - ولذلك دُعي ناصري، أي من الناصرة.

الجليل: تمركزت خدمة المسيح في الشمال، في منطقة الجليل وما حولها حتي يبتعد عن الصراع السياسي والديني في أورشليم.

أورشليم: أور= أرض، شاليم = سلام، أي أرض السلام. وهي المدينة التي اختارها الملك داود لكي تكون عاصمة مملكته، وكذلك هناك بنى الهيكل لعبادة الله الواحد، وقد بنى الهيكل في مكان مرتفع، وبذلك كان يصعد إليه الناس وينظرونه من بعيد. وقد كسا الملك هيرودس الهيكل بالرخام الأبيض وغشاه بالذهب لكي يُرضي اليهود، فكان لامعًا وُمُبهجًا أكثر من أي مبنىً آخر في المدينة وفي المنطقة كلها.

كفر ناحوم: شمالاً قُرب الجليل.

ميلاد السيد المسيح

"أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هٰكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلٰكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هٰذِهِ ٱلأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ. لأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». وَهٰذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ ٱلرَّبِّ بِٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: «هُوَذَا ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ٱبْنًا، وَيَدْعُونَ ٱسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» ٱلَّذِي تَفْسِيرُهُ: ٱللهُ مَعَنَا. فَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ ٱلنَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ ٱلرَّبِّ، وَأَخَذَ ٱمْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ٱبْنَهَا ٱلْبِكْرَ. وَدَعَا ٱسْمَهُ يَسُوعَ." متّى ١: ١٨ – ٢٥.

في هذا الدَّرس سوف نتعرَّف على:

- التمهيد لميلاد السيد المسيح
- البشارة لمريم العذراء

- ميلاد يوحنّا المعمدان
- ميلاد السيد المسيح في بيت لحم
- الرعاة يزورون مكان الميلاد
- المجوس الحكماء يأتون ليسجدوا للمسيح

مُقدِّمة

خريطة فلسطين أيام السيد المسيح.

ملحوظة: عاش السيد المسيح ومات بين ربوع بلاد فلسطين ولم يسافر خارجها إلّا عندما ذهب به أبواه إلى مصر هربًا من قتل الملك هيرودس للإطفال.

كان شعب اليهود ينتظرون نبيًا أو ملكًا ممسوحًا المسيح؛ إذ كان الكاهن يمسح بالزيت الملك أو النبي، وكانوا ينتظرون مجيء هذا المسيح من الله من الأعالي، لكي يكون ملكًا عليهم ليُخلِّصهم من عبودية حكم الرومان، ولكي يجعل منهم أُمَّة تسود على بقية الأُمم. ويكون مثالاً للحكم الإلهي، وينزع الظلم والشر من العالم. لذلك عندما لم يملك المسيح خاب أملهم فيه إذ لم يُحقِّق ما كانوا يرجونه.

ويبدأ البشير متّى بسردٍ لنَسَب السيد المسيح؛ لكي يُثبِت أنَّ المسيح جاء من نسل الملك داود الذي وعد الرب بأنَّه لن يكون لمُلكه نهاية، وسيكون ملكه أبديًا وسيكون أعظم من مُلك أبيه داود. وقد تحقَّق ذلك في السيد المسيح الذي جاء لا لكي يملك على مملكة أرضية زائلة ، ولا ليحقق حُلمًا أرضيًا بالانتصار على كل الأعداء، ولكنه جاء ليملك على قلوب الناس، ويأتي بهم إلى ملكوت الله الذي سيدوم إلى الأبد. فقد أرسل الله السيد المسيح لا لكي يملك ويحكم أراضي الشعوب أو يؤسس مملكةً أرضية، بل ليتمم الفداء الذي سيصالح كل من يؤمن به من الخطاة مع الآب السماوي، ويؤسس الملكوت السماوي، ملكوت يدوم إلى الأبد. وبذلك سيكون مُلكه أعظم بكثير من مملكة داود وسليمان وسوف لا يكون لمُلكه نهاية أي يدوم إلى أبد الآبدين.

ومنذ ولادته اعترف كثيرون بالمسيح ملكًا وربًا وآمنوا به، وأتوا من أبعد البلدان ليقدموا له الهدايا. وعبر السنين آمن الآلاف بل الملايين بفدائه وصاروا من رعيته. وتألَّم الالاف وبذلوا الكثير من أجل رسالته، ليس ذلك فقط بل أنَّهم ضحوا بحياتهم واستشهدوا من أجل تلك الرسالة.

ولكن هيرودس الملك خاف على مُلكه الأرضي، وكذلك خاف الشيطان من سيادة المسيح كملك. حاولا أن يوقفاه، ولكن إرادة الله الأزلية كانت أقوى بكثير، وتمَّم السيد المسيح رسالته، وتمَّم أيضًا الفداء العجيب الذي من أجله ذاق الآلام.
ويبدأ كل من البشير متّى والبشير لوقا قصة الميلاد بالتأكيد على نَسَب السيد المسيح، وعلى أنَّه من نسل داود الملك الذي وعده الله أنَّ نسله سيملُك إلى الأبد، لكي يؤكِّد أنَّ هذا ما تحقق في مجيء المسيح الذي سيملك على قلوب المؤمنين إلى الأبد.

التمهيد لميلاد السيد المسيح

القراءة
أولاً: بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء
ثانيًا: بشارة الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن
ثالثًا: البشارة إلى يوسف النَّجار
رابعًا: بشارة الملائكة للرعاة
خامسًا: زيارة المجوس الحكماء للسيد المسيح

أولاً: بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء

لوقا ١: ٢٦ – ٣٨

"وَفِي ٱلشَّهْرِ ٱلسَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ ٱلْمَلَاكُ مِنَ ٱللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ ٱلْجَلِيلِ ٱسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ ٱسْمُهُ يُوسُفُ. وَٱسْمُ ٱلْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. دَخَلَ إِلَيْهَا ٱلْمَلَاكُ وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكِ أَيَّتُهَا ٱلْمُنْعَمُ عَلَيْهَا ٱلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي ٱلنِّسَاءِ.» فَلَمَّا رَأَتْهُ ٱضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ، وَفَكَّرَتْ: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ ٱلتَّحِيَّةُ» فَقَالَ لَهَا ٱلْمَلَاكُ: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لِأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ ٱللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ٱبْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَٱبْنَ ٱلْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى ٱلْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَاكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» فَأَجَابَهَا ٱلْمَلَاكُ وَقَالَ لَهَا: «اَلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ ٱلْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا ٱلْقُدُّوسُ ٱلْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ٱبْنَ ٱللهِ. وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِٱبْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهَذَا هُوَ ٱلشَّهْرُ ٱلسَّادِسُ لِتِلْكَ ٱلْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى ٱللهِ.» فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ ٱلرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا ٱلْمَلَاكُ."

كان ميلاد السيد المسيح عجيبًا وفريدًا من نوعه، ولا يستطيع الإنسان بدون الإيمان أن يقبل الميلاد العذراوي للسيد المسيح. ولكن الله قصد بالميلاد العذراوي أكثر من مجرد "الإعجاز" ولكنه قصد أن يعلن لنا حقيقة التجسد" فقد وُلِدَ السيد المسيح من الرَّوح القُدُس وليس من علاقة بشرية طبيعية بمشيئة رجل. فنقرأ في الإنجيل حسب البشير يوحنَّا أنَّ "الكلمة قد صار جسدًا وحل بيننا." لقد فوجئت مريم بظهور الملاك أمامها فقال لها "لا تخافي يا مريم" فالخوف شيء طبيعي لدى كل إنسان ولكن الله يزيل مخاوفنا ويؤكد معيَّته لنا. وبشَّرها الملاك بأنَّها سوف تحبَل وتلد ابنًا وتدعو اسمه "يشوع" باللغة العبرية، وترجمتها يسوع باللغة العربية

وتعني "المُخلِّص" لأنَّه سوف يُخلِّص شعبه من خطاياهم. وجاء اسم "عيسى الذى يستخدمه كثيرون من الاصل اليوناني للكلمة "إيسوس" وهى من كلمة يسوع أو يشوع وتعنى "المُخلِّص".

ما أعجب إيمان السيدة العذراء حين صدَّقت هذا الخبر الغريب ولكنها سألت عن كيفية حدوثه، فهي لا تعرف رجلاً. فقال لها الملاك إنَّ الرُّوح القُدُس سوف يحلُّ عليها، وقوة العلي سوف تكون معها. ولذلك القدوس أي الذي بلا خطية الذي سوف يُولد منها، سوف يُدعى "ابن الله". ولم يكن هذا الحَمْل نتيجة أية علاقة جسدية بين الله والقديسة مريم، ولكن بفعل الرُّوح القُدُس. ويخطئ كثيرون حين يعتقدون أنَّ المسيحيين قد أضفوا صفة الإلوهية على السيد المسيح وأمه العذراء مريم من دون الله، ولكن المسيحية لا تُضفي صفة الإلوهية على السيدة مريم العذراء إطلاقًا بل تعطيها المكانة اللائقة بها حتي وإن أُطلِق عليها صفة والدة الإله، فهى أم الإله المُتجسِّد - أي السيد المسيح في الجسد. أمَّا الإلوهية فهي لشخص السيد المسيح الذي أعلن عن ذاته وعن تجسده ، وهل يعسُر على اللهِ أمرٌ؟ فكل شيء مستطاع لدى الرب.

والمسيح هو أيضًا "كلمة الله" أي إعلان الله عن ذاته وعن محبته الفائقة لبني البشر- ويجب أن نؤمن بما أعلنه الله في "كلمته- الكتاب المقدس" لانه كلمة الله. ولذلك جاء في سفر العبرانيين "الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء، كلَّمنا نحن في ابنه يسوع المسيح"...أي أنَّ إعلان الله لنا هو في المسيح ولذلك هو "الكلمة التي أعلن الله ذاته لنا من خلالها" كما سنوضح بأكثر تفصيلا فيما بعد.

وبرغم صعوبة الأمر، سوف يُولد المسيح بدون إرادة رجل. أطاعت القديسة مريم كلمات الرب وإرادته ، وخضعت لها، وذلك يُعلِّمنا الخضوع برغم صعوبة الأمر، فعندما نخضع للرب فلابد أن يعمل بنا أعمالاً غير عادية في ملكوته، فهو الإله القادر على كل شيء. ويخطئ كثيرون عندما يظنون أنَّ كلمة ابن الله تعنى أنَّ الله قد تزوج من بشر وأنجب ابنًا، فذلك ليس المقصود من هذه التسمية، ان يكون أبًا في فهم المقصود من "الثالوث الاقدس" جسديًا، إنما المقصود هنا هو عن بنوية السيد المسيح لله، وأنه سوف يدعي "ابن العلي" أو "ابن الله" ليس ذلك مجرد تعبير مجازي وكذلك - كما أشرنا - ليس تعبيرًا عن علاقة جسدية بين الله ومريم، لأن الله ليس بشرًا، فحاشا لله أن تكون له علاقة جسدية.

أمَّا ولادة السيد المسيح بهذه الكيفية غير العادية، تؤكد أنه شخص غير عادي، ليس فقط في ميلاده، بل في حياته وتعاليمه ومعجزاته ومماته ومحبته غير المحدودة. ولذلك فهو "الإنسان الكامل والإله الكامل" وهو "كلمة الله" الذي صار فى معجزة ميلاده و قداسة حياته "آيةً للعالمين"، وذلك لكي تتحقق نبوة النبى إشعياء القائلة" هوذا السيد نفسه يعطيكم "آية" ها العذراء تحبل وتلد ابنا....." وبذلك صار السيد المسيح هو وأمه التى أطاعت إرادة الله "آيةً للعالمين".

لقب "ابن الله" إعلان إلهي. أعلن الآب السماوي أنَّ المسيح هو ابن الله الحبيب مرقس ١: ١١ وكان صوت من السماء "أنت هو ابنى الحبيب الذى به سُررت ". كذلك أعلن المسيح أنَّه ابن الله إذ قال "فَٱلَّذِي قَدَّسَهُ ٱلآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى ٱلْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لِأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ٱبْنُ ٱللهِ؟" يوحنّا ١٠: ٣٦.

وعندما تقابل المسيح مع المولود أعمى الذى شفاه قال له هل تؤمن بابن الله، أجاب من هو ياسيد لكى أؤمن به، فقال له المسيح قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن ياسيد وسجد له. يوحنّا ٩.

"المسيح" كلمة الله وإعلان الله عن ذاته

يوحنّا ١: ١ - ١٨

"فِي ٱلْبَدْءِ كَانَ ٱلْكَلِمَةُ، وَٱلْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ ٱللهِ، وَكَانَ ٱلْكَلِمَةُ ٱللهَ. هَذَا كَانَ فِي ٱلْبَدْءِ عِنْدَ ٱللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ ٱلْحَيَاةُ، وَٱلْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ ٱلنَّاسِ، وَٱلنُّورُ يُضِيءُ فِي ٱلظُّلْمَةِ، وَٱلظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ. كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ ٱللهِ ٱسْمُهُ يُوحَنَّا. هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ ٱلْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ ٱلنُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. أَنَ ٱلنُّورُ ٱلْحَقِيقِيُّ ٱلَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى ٱلْعَالَمِ. كَانَ فِي ٱلْعَالَمِ، وَكَوَّنَ ٱلْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ ٱلْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ ٱلَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ ٱللهِ، أَيِ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱسْمِهِ. ٱلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ ٱللهِ. وَٱلْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ ٱلآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا. يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ وَنَادَى قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ٱلَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ ٱلَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي». وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. لأَنَّ ٱلنَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا ٱلنِّعْمَةُ وَٱلْحَقُّ فَبِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ صَارَا. ٱللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. ٱلاِبْنُ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ ٱلآبِ هُوَ خَبَّرَ."

توضح الآيات إعلان أنَّ السيد المسيح هو "كلمة الله" أو بمعنى آخرهو "إعلان الله لنا عن ذاته." وإذ لم نستطع أن نرى الله أو نعرف عنه، لذلك، من فضل محبته للعالمين والبشرية جمعاء، اختار أن يعلن ذاته لنا. فقد أعلن الله لنا عن ذاته وقدرته وحكمته

وعظمته فى الخليقة وفى الطبيعة رومية ١. وإذ لا يعرف الإنسان أفكار الشخص وشخصيته إلَّا إذا تكلَّم معه، كذلك كان المسيح "كلمة الله" المُتجسِّد الذى فيه أعلن الله عن ذاته وقدرته بل أيضاً محبته اذ قدم لنا فداءه كما سندرُس فيما بعد. ففيه أي في المسيح أعلن الله لنا عن خطته لخلاص العالم، وفي تعاليمه أعلن الله لنا عن أزلية الخير والمحبة الإلهية. وفي معجزاته أعلن الله لنا عن قدرته المتناهية. وفي صفاته أنَّه الكامل الذي لا يستطيع أحدٌ أن يدينه أو يُبكِّته على خطية. وفي اتِّباعه لنا حياة أبدية اذ ليس بأحد غيره الخلاص. وأعلن الله أيضاً ذاته ومشيئته بالكلمة المقدسة التي قد أعطاها لأنبيائه الذين اختارهم.

سوف ندرس تفصيليًا ونعرف أنَّ الكلمة المقدسة كُتِبَت بواسطة البشر الذين قادهم روح الله وأعطاهم الوحي المقدس. نعرف أنَّ الله أوحى لموسى بكلمته "التوراة- والكلمة تعني التعليم" أي أنَّ الله أراد أن يُعلِّم شعبه عن طريقه. وكذلك أعطى الله لداود "المزامير" للتسبيح والعبادة. وقد يخطئ الكثيرين باعتقادهم أنَّ كلَّ نبي قد أتي بكتاب إذ أنَّ الكثيرين من الأنبياء لم يأتوا بكتاب ولكن جميعهم قد دعوا الي عبادة الله الواحد وإلى تقواه وفعل الخير والصلاح والابتعاد عن الفساد والرزيلة ومحبة الآخرين. وعندما نقرا الكتب المقدسة نعرف أنَّهم قد تنبأوا بصورة أو أخرى عن مجئ السيد المسيح المُخلِّص.

عنصر الإيمان في قبول لاهوت المسيح

عندما نقرأ الإنجيل المقدس نجد أنَّ هناك بعض الأعداد أو الآيات التي تتحدث عن لاهوت المسيح أي صفاته الإلهية والبعض الآخر يتحدث عن صفاته الجسدية. ولذلك لا يجب أن نخلط بين الآيات التي تتحدث عن السيد المسيح "كإنسان" وبين تلك التي تتحدث عن صفاته الإلهية "كإله". فعندما تقرأ أنَّ المسيح جاع أوو عطش، أو أنَّه كان يُصلّي، فإنَّ الكلمة المقدسة تتحدث عنه فى كمال إنسانيته أو ما نسميه ناسوته. وكذلك يتحدث عنه في كمال لاهوته عندما أفصح المسيح "أنَّه والآب واحد" وكذلك "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن". وقد تحدثنا سابقًا أنَّنا لا نستطيع أن نقبل أو نُصدِّق هذا الأمر المستحيل إلّا عن طريق الإيمان والتصديق. ولذلك يجب أن نطلب من الله "أن يعين ضعف إيماننا".

أمَّا "التجسد" فله أربعة أهداف:

الهدف الأول، أن يكون المثال الكامل أو القدوة الكاملة، فهو النموذج الذي ينبغي أن نصير عليه، وهو الذي يرينا كيف نستطيع أن نحيا مثله.
والهدف الثاني، أن يكون "المعلم الكامل" الذي أظهر لنا فكر الإله الآب وعلمه لنا عن طريق تعاليمه، وحياته، ومعجزاته، وأفعاله.
الهدف الثالث، فهو لكي يكون "الذبيحة الكاملة" التي سوف تُقدم كفارةً عن الخطية، كما كان شعب الله في القديم يقدمون ذبيحة لغفران الخطايا هكذا سوف يقدم المسيح نفسه كذبيحة كاملة بدون عيب كما أمر الكتاب أن تكون الذبيحة بلا عيب، لكي توفي العدالة السماوية للفداء والكفارة عن الخطايا.
أمَّا الهدف الرابع، فهو أن يعلن لنا عن صفات الله ، ويكشف عن طبيعته وجوهره الكاملين، ففي السيد المسيح تجلّت محبة الله الكاملة لبني البشر وحنانه وشفقته لآلام البشر في فداءه للخطاة وفاعلي الشر.

كيف نؤمن

يجب أن نعرف أنَّ قبول هذا الأمر "التجسد ووحدة الله الابن والآب والروح القدس"، هو من فعل الإيمان وليس هناك من يستطيع أن يقنع الإنسان بهذا الأمر إلّا روح الله القدوس، ولذلك يقول: "ومن أراد الابن فليعلن له" أي أنه بدون إعلان الله عن ذاته لك، وإقناعه الداخلي والقلبي لك فأنك لن تستطيع أن تؤمن بالمنطق المجرد أو بالعقل المجرد بدون عنصر الإيمان فيقول الكتاب المقدس "أمَّا الإيمان هو الثقة والإيقان بأمورٍ لا تُرى" عبرانيين ١١.

إذ يقول أيضاً "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" فكما علت مكانة الله عن مكانتنا، وقدرة الله عن قدرتنا، وغير محدودية الله بمحدوديتنا، كذلك علت أفكاره عن أفكارنا، وطرقه عن طرقنا. فإذا قبلنا أنَّ الله يستطيع أن يفعل كل شيء، فلماذا لا يستطيع الله القادر على كل شيء أن "يتجسد" آخذًا جسد البشرية، لكي يصير مثلنا، ويقدم نفسه كحمل الله الذي يرفع خطية العالم؟ نعم فهو لا يعسُر عليه أمر.

يُقدِّم البشير يوحنّا السيد المسيح على أنه إنسانًا كاملاً وإلهًا كاملاً. فبرغم أنَّ السيد المسيح كان إنسانًا كاملاً، ولكنه كان أيضًا ولم يَكُفّ أبدًا عن كونه الله الأزلي الكائن، الذي كان منذ الأزل يوحنا٢٠: ٣٠، ٣١. ولذلك ترتبط تعاليم المسيح وأعماله ومعجزاته ارتباطًا لا ينفصم عن شخصيته وماهيته. ومن خلال هذه الدراسة سوف تدرس ذلك بأكثر تفصيلاً. فإذا لم نكن من المؤمنين بهذه الحقائق فعلينا أن نُصلّي طالبين من الله أن يعين ضعف إيماننا مثلما طلب تلاميذه أيضًا، وكذلك يجب أن نطلب من الله أن يقودنا الله الآب إلى القناعة الكاملة بأنَّ المسيح هو مُخلِّص العالم وأنَّه "الكلمة الذي صار جسدًا"، أي أنَّ الله قد أعلن "بكلمته" لنا، عن ذاته وعن محبته لنا.

ترنيمة أو تسبحة مريم

لوقا١: ٤٦- ٥٦

"فَقَالَتْ مَرْيَمُ: "تُعَظِّمُ نَفْسِي ٱلرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِٱللهِ مُخَلِّصِي، لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى ٱتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ ٱلْآنَ جَمِيعُ ٱلْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، لِأَنَّ ٱلْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَٱسْمُهُ قُدُّوسٌ، وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ ٱلْأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ ٱلْأَعِزَّاءَ عَنِ ٱلْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ ٱلْمُتَّضِعِينَ. أَشْبَعَ ٱلْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ ٱلْأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً، كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ". فَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا."

تتضمن هذه الأنشودة عدّة حقائق هامة:

أنَّها تُعظِّم الرب وتبتهج به، فلم تدَّعِ الألوهية.

أنَّ الله هو المخلِّص وجميع البشر يحتاجون إلى خلاص الله، وهي أيضاً من ضمن بنى البشر.

الخلاص هنا يعني فداء المسيح الأبدي من الحالة التي قادت البشرية جمعاء إلى الابتعاد عن الله.

أنَّ الله قد صنع معها أمورًا عظيمة فوق قدرة البشر.

أنها في تواضعها قد رفعها الله القدير القادر أن يرفع شأن المتضعين ويُنزِل المتعالين عن كراسيهم.

أنَّ وعد الله قد تحقق "لإسرائيل" بالمخلص المسيح.

أنَّ الله حقق وعده الذي وعد به أبينا إبراهيم أن يتبارك في نسله "المسيح" جميع شعوب الأمم وقبائل الأرض بالإيمان.

لقد كانت السيدة العذراء مريم وديعة في قبولها وتصديقها وطاعتها لإرادة الله، متواضعة برغم مكانتها، صابرة في ضيقاتها وآلامها التي خاضتها عند صلب المسيح، مؤمنة بكل ما وعد به الرب وفعله.

ثانيًا: بشارة الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن

لوقا١: ٨- ٨٠

كان كاهنًا يهوديًا وخادمًا للرب ويعمل في الهيكل، يدير أمور الذبائح، ويعلِّم الشعب كلام الله، ويباشر خدمات العبادة. وكان في ذلك الوقت أكثر من عشرين ألف كاهن، وكان من الصعب أن يخدموا جميعهم في وقت واحد في الهيكل. ولذلك تم تقسيم الكهنة إلى أربعة وعشرين فرقة تتكون كل فرقة من ألف كاهن. وكانت القرعة تُلقى لكي يقدم كاهن واحد البخور داخل الهيكل كل عام. فوقعت القرعة على زكريا من فرقة أبيا، ولم يكن ذلك بمحض الصدفة، فليس هناك صدفة في حياة المؤمنين ولكن هناك تدبير الله وتوقيته. فلا تتحدث عن الصدفة في حياتك ولكن تحدث عن تدبير الله وعنايته. فأخبر الملاك الكاهن زكريا وهو داخل الهيكل بأنه سيولد له ولد، برغم سنه المتقدِّمة، وأعطاه الملاك علامةً أنَّه سوف لا يمكنه الكلام إلى أن يولد هذا الولد، وأيضاً لكي يعرف الشعب أنَّ هناك ملاكًا قد تحدث الي الكاهن تمهيدًا لرسالة الابن يوحنّا. وعندما وُلد الطفل سمّاه "يوحنا"، أي "الرب حنَّان" حسب قول الملاك، لأنَّ الله سوف يتحنَّن على بني البشر، وسوف يأتي يوحنّا لكى يُعِدّ ويُمهّد الطريق أمام السيد المسيح.

تسبحة زكريا الكاهن

"وَٱمْتَلَأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ، وَتَنَبَّأَ قَائِلًا: "مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ ٱفْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلَاصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ ٱلْقِدِّيسِينَ ٱلَّذِينَ هُمْ مُنْذُ ٱلدَّهْرِ، خَلَاصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ ٱلْمُقَدَّسَ، ٱلْقَسَمَ ٱلَّذِي حَلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلَا خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا. وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلصَّبِيُّ نَبِيَّ ٱلْعَلِيِّ تُدْعَى، لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ ٱلرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ ٱلْخَلَاصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ، بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا ٱلَّتِي بِهَا ٱفْتَقَدَنَا ٱلْمُشْرِقُ مِنَ ٱلْعَلَاءِ. لِيُضِيءَ عَلَى ٱلْجَالِسِينَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَظِلَالِ ٱلْمَوْتِ، لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ ٱلسَّلَامِ." أَمَّا ٱلصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِٱلرُّوحِ، وَكَانَ فِي ٱلْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ."

لُوقا ١: ٦٧ – ٧٩.

ثالثًا: البشارة ليوسف النَّجار

اقرأ متّى ١: ١٨- ٢٤

"أَمَّا وِلَادَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ ٱلْأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: "يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ. لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ." وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ ٱلرَّبِّ بِٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: "هُوَذَا ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ٱبْنًا، وَيَدْعُونَ ٱسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ." ٱلَّذِي تَفْسِيرُهُ: ٱللهُ مَعَنَا. فَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ ٱلنَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ، وَأَخَذَ ٱمْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ٱبْنَهَا ٱلْبِكْرَ. وَدَعَا ٱسْمَهُ يَسُوعَ."

كان لابد أن يكون للسيد المسيح أبًا يرعاه في طفولته، وكان من الصعب أيضًا على هذا الرجل البار الذي خطب لنفسه فتاة عذراء وهي مريم أن يقبل أن تكون عروسه حُبلى، ولذلك أراد تخليتها سرًا، أي بدون الإشهار بها. ولذلك أرسل الله له ملاكًا لكي يطمئنه،

أنَّ الذي حُبِل به هو من الروح القدس، وليس من عمل الفحشاء، أي بدون مشيئة رجل، فصدَّق بالإيمان وأخذ امرأته. وصدَّق يوسف أنَّ ذلك تمَّ لكي يتم ما قاله الرب على فم النبي إشعياء "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويُدعى اسمه عمانوئيل أي "الله معنا". أي أن الله سوف "يتجسد" لكي يكون في وسطنا آخذًا جسد بشريتنا، لكي يستطيع أن يقدم الذبيحة الكاملة عنا.

رابعًا: الرُّعاة والملائكة

اقرأ لوقا٢: ٨ - ٢٠

"وَكَانَ فِي تِلْكَ ٱلْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ ٱللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ ٱلرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ ٱلرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَلاَكُ: "لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ ٱلشَّعْبِ: لأَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱلرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمُ ٱلْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ." وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ ٱلْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ ٱلْجُنْدِ ٱلسَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ ٱللهَ وَقَائِلِينَ: "ٱلْمَجْدُ لِلهِ فِي ٱلأَعَالِي، وَعَلَى ٱلأَرْضِ ٱلسَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ ٱلْمَسَرَّةُ." وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ، قَالَ ٱلرِّجَالُ ٱلرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لِنَذْهَبِ ٱلآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هَذَا ٱلأَمْرَ ٱلْوَاقِعَ ٱلَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ ٱلرَّبُّ." فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَٱلطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي ٱلْمِذْوَدِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِٱلْكَلاَمِ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا ٱلصَّبِيِّ. وَكُلُّ ٱلَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ ٱلرُّعَاةِ. وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا ٱلْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ثُمَّ رَجَعَ ٱلرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ ٱللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ."

كان هناك رعاة يحرسون أغنامهم، وفي الظلام الحالك، أبصروا نورًا عظيمًا، وظهر لهم جمهورٌ كثير جدًا من الملائكة، وبشَّروهم أنَّه قد وُلد لهم في بيت لحم مُخلِّصٌ "المسيح". وكان هذا الجمهور العظيم من الملائكة يسبِّح الله قائلين: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرّة". صدَّق الرعاة البسطاء الملائكة، فذهبوا لزيارة هذا المولود، فوجدوه في مذودٍ أي مكان معيشة الحيوان، وكان ذلك أمرًا عجيبًا، إذ من الطبيعي أن يُولد الملوك في القصور، ولكن المسيح وُلد فقيرًا لكي يعرف كل فقير أنَّ المسيح قد جاء من أجله، وجاء متواضعًا لكي يتضع كل إنسان يأتي إليه. وهنا نشير إلى الارتباط بين "المجد لله في الأعالي... وبين على الأرض السلام" إذ جاء في إنجيل يوحنّا ١:١٤"والكلمة صار جسدًا وحل بيننا، وقد رأينا مجده مجدًا، كما لوحيد من الآب، وهو مملوءًا نعمة وحقًّا".

فقد جاء المجد الذى هو في الأعالي أي في السماء، وحلَّ فيما بيننا لكي يكون لنا على الأرض سلام الله وسروره. وأيضًا لكي تتحقق نبوة النبي إشعياء الذي قال "لأنه يُولد لنا ولد ونعطى ابنًا، وتكون الرئاسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيبًا مشيرًا أبًا أبديًا رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية." إشعياء ٩: ٦ – ٧.

جاء المسيح ليعطينا سلام الله الآب، الذي يتمتع به كل من آمن به وكل من صار له أبنًا.. هذا السلام الذي يأتي نتيجة الثقة أنَّ لنا رجاء أبدي، أي أننا سوف نكون في السماء عند رحيلنا عن هذه الحياة، وذلك ليس من أعمال تقوانا بل من أجل رحمته وفداءه إذ أنَّه قد دفع ثمن خلاصنا من سلطان الخطية.

خامسًا: المجوس الحكماء يقدمون هدايا للسيد المسيح

اقرأ متّى ٢: ١ - ١٨

"وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ ٱلْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: "أَيْنَ هُوَ ٱلْمَوْلُودُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ." فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ ٱلْمَلِكُ ٱضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ ٱلشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: "أَيْنَ يُولَدُ ٱلْمَسِيحُ؟" فَقَالُوا لَهُ: "فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِٱلنَّبِيِّ: "وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا، لَسْتِ ٱلصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ." حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ ٱلْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ ٱلنَّجْمِ ٱلَّذِي ظَهَرَ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ: «ٱذْهَبُوا وَٱفْحَصُوا بِٱلتَّدْقِيقِ عَنِ ٱلصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ." سَمِعُوا مِنَ ٱلْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا ٱلنَّجْمُ ٱلَّذِي رَأَوْهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ ٱلصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوُا ٱلنَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. وَأَتَوْا إِلَى ٱلْبَيْتِ، وَرَأَوُا ٱلصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، ٱنْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ. وَبَعْدَمَا ٱنْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: "قُمْ وَخُذِ ٱلصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَٱهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ ٱلصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ." فَقَامَ وَأَخَذَ ٱلصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَٱنْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ ٱلرَّبِّ بِٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: "مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ٱبْنِي." حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ ٱلْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ ٱلصِّبْيَانِ ٱلَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ٱبْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ ٱلْمَجُوسِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا ٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: "صَوْتٌ سُمِعَ فِي ٱلرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ."

لا نعرف الكثير عن المجوس الحكماء، ولكنهم على ما يبدو كانوا من دارسي علوم الفلك. كذلك لا نعرف عددهم ولا من أين أتوا، ولكنهم أتوا من المشرق. ولكن يظن بعض الدارسين أنَّهم قد جاءوا من "بارثيا" بالقرب من موقع بابل القديمة. وقد كثرت أيضًا التفاسير عن هذا النجم الذي قد ظهر لهم، فالبعض يقول إنَّه نجم قد ظهر من جراء اقتران كواكب المشترى وزحل والمريخ. وقد جاءوا إلى هيرودس ليسألوا عن المولود الذي سوف يكون ملكًا؟

خاف هيرودس الملك وأقنع الحكماء أو المجوس أن يذهبوا ويبحثوا عن الصبي، ومتى وجدوه فيجب أن يرجعوا إليه مرة أخرى لكي يذهب هو أيضًا ويقدم هداياه. وعندما استدعى هيرودس الملك علماء الدين وسألهم، أين يولد الملك المسيح؟ قالوا له إنَّه سوف يُولد في "بيت لحم اليهودية" لذلك أمر أن يُقتل جميع الذكور المولودين ما دون السنتين حسب ما ورد في نبوة ميخا النبي حتي يضمن القضاء على الملك الجديد، فكم من المرات لا نستطيع أن نُطيع الله لأجل خسارة شخصية، فقد حرم هيرودس نفسه وبيته من الإيمان بالمسيح الذي سيعطي حياة أبدية ومُلكًا لا يزول وميراثًا أبديًا.

أمَّا المجوس فقد قادهم النجم إلى مكان ولادة السيد المسيح، وأتوا وقدَّموا له هدايا، ذهبًا للدلالة على أنَّه ملكٌ، ولبُانًا أي بخورًا دلالةً على أنَّه كاهنٌ، ومُرًّا دلالة على مرارة صلبه، كما يقول بعض المُفسِّرين. ورغم أنَّ المعلمين اليهود العارفين بالدين وبالكتب المقدسة عرفوا أن المسيح سوف يأتي، إلّا أنهم رفضوه ولم يقبلوا رسالته لأنها لم تتفق مع أغراضهم. وعاد المجوس عن طريق آخر بعد أن ظهر لهم الملاك في حلم، ولذلك أمر هيرودس-كما أوضحنا- بقتل كل الأطفال ما دون سن السنتين، وبذلك تحققت النبوة أن هناك صوت بكاء صوت عويل أي نحيب سُمِع في الرامة أي في مدن اليهود، لأن نسائهم سيبكين على أولادهن. لذلك ذهب يوسف ومريم والطفل إلى مصر، هربًا من هذا القتل ولذلك أيضًا قيل "من مصر دعوت ابني" إرميا ١٥: ٣١.

الملخص

لقد تحققت النُّبوّات التي قيلت قبل مئات السنين عن مجيء المسيح وعن ميلاده العذراوي العجيب، وعن ميلاده في بيت لحم المدينة الصغيرة، وعن دوره كمُخلِّص، وعن فداءه الكفاري على الصليب. وبرغم أنَّ الإنجيل في الأصل اليوناني استخدم كلمة عذراء، وهذا يعني بوضوح أنها فتاة لم يسبق لها الزواج، فهذا أمرٌ عسير الفهم ولا نستطيع أيضاً أن نقتنع بذلك بدون عنصر الإيمان.

نجد أن الرابط بين جميع القصص التي حول ميلاد السيد المسيح ترتبط ارتباطًا وثيقًا – بالإيمان- فآمنت مريم بأنَّ الله قادر أن يفعل ما لا يستطيعه البشر، وآمن زكريا الكاهن أنه سيكون له ولد وهو في سن الشيخوخة، وأن هذا الولد الذي سيحمل اسم يعني "الرَّب الحنَّان" هو الذي سوف يُمهِّد الطريق أمام السيد المسيح مُناديًا أن الله الكلي الرحمة سوف يرسل السيد المسيح رحمة للعالمين وحنانًا عليهم.

وصدَّق الرعاة أيضًا ما قالته الملائكة فذهبوا ليسجدوا له وآمن المجوس أهل الحكمة أنَّ المسيح الملك الذي سيملك على قلوب الناس قد ولد فجاءوا وسجدوا له. إن عنصر الإيمان هو ما يقودنا إلى اتِّباع السيد المسيح وفدائه وكفارته من أجلنا نحن البشر ولذلك لابد لنا من أن نسعى لكي نفهم ومن ثم أن نؤمن وبذلك ننال الحياة الأبدية.

وقد شرحنا معنى اسم المسيح أي الممسوح من الله لأجل إتمام الفداء. وأيضاً قد تأملنا في معنى اسم يشوع أو يسوع أو إيسوس أو عيسى وجميعها مسميات للأصل يشوع أي مخلص -وسوف نشرح تفصيليا أمر الخطية والخلاص فيما بعد. ولقد استعرضنا مصطلح "ابن الله" وأنَّ ذلك ليس مصطلحًا مجازيًا، ولا للتعبير عن علاقة بشرية بين الله ومريم ، ولكنه للتعبير عن التجسد، وقد أشرنا إلى ضرورة الإيمان لقبول هذه الحقائق وان الإيمان هو من عمل الروح القدس في قلوبنا لكي نأتي إلى القناعة القلبية والعقلية أيضاً.

إنَّ ما يفعله كثيرون ممَّن يسمونه الاحتفال بعيد الميلاد المجيد، وخاصة في بلاد الغرب، لا يتوافق مع وصايا وتعاليم رب هذا العيد وسببه. وقد انحدر الكثيرون الي تحويل هذه المناسبة السامية إلى الاتجار بها والكسب المالي، غير مكترثين بوصايا وتعاليم هذا المسيح الذي سوف يأتي لكى يدين الأحياء والأموات، والذى سوف يعطى حياة أبدية لكل من يصبح تلميذًا له أي محافظا على وصاياه وتعاليمه.

أسئلة:

هذه الأسئلة هدفها تلخيص الدرس وليس بالضرورة تتعلق بمعتقداتك أو إيمانك الشخصي.

1- وُلد السيد المسيح في مدينة صغيرة تُدعى "بيت لحم".
نعم لا

2- كان الملك هيرودس يحكم بلاد اليهودية أيام ولادة السيد المسيح.
نعم لا

3- أعلن الله عن ميلاد المسيح بطرق فوق العادة لمريم العذراء وزكريا الكاهن والرعاة والمجوس ، إمَّا بظهور الملائكة أو بكلمات الملائكة أو بظهور النجم.
نعم لا

4- قتل هيرودس جميع الأطفال ما دون السنتين لكي يضمن أنه قتل الملك الجديد المسيح وذلك حسب النبوة بأنَّه سيكون عويل وبكاء في بيوت اليهودية.
نعم لا

5- لم يذكر الكتاب المقدس أنَّ السيد المسيح قد فعل أية معجزة أثناء طفولته أو ميلاده أو تكلَّم فى المهد.
نعم لا

6- هربت مريم ويوسف والطفل المسيح إلى مصر خوفًا من أن يقتله الملك هيرودس.
نعم لا
7- قدَّم المجوس الحكماء ذهبًا ولُبانًا ومُرًا للمسيح.
نعم لا
8- شاهد الرعاة جمهور من الجند السماوي أي الملائكة ينشدون "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" وكان ذلك تحقيقًا للنبوة.
نعم لا
9- كلمة عمانوئيل تعني "الله معنا"
نعم لا
10- معنى كلمة يشوع بالعبرية وهي يسوع بالعربية أي "المُخلِّص" فيقول البشير متّى "لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم.."
نعم لا